

يوسي ميلمان

ثمرات المفاجأة*

تطورت روايتان منذ انتهاء الحرب: الرواية الإسرائيلية، ورواية حزب الله. بحسب الرواية الإسرائيلية، هُزمت إسرائيل في الحرب. وقد استقر هذا الأمر في الوعي العام من دون أي نقاش جدي بشأن نتائج الحرب، وتم استبطانها بسبب وسائل الإعلام بالدرجة الرئيسية. وتجسد هذه الرواية جميع خصائص النقاش العام في إسرائيل في الأعوام الأخيرة.

من طبيعة الرواية الإسرائيلية أنها منغمسة في نفسها إلى درجة أنها لا تعطي الانتباه إلى ما يجري خارج حدود إسرائيل. وهذا يدعو إلى الأسف. إذ إن الكلام الآتي من لبنان في الأيام الأخيرة يمكنه أن يساهم في النقاش في إسرائيل، وأن يظهر أن إنجازات كبيرة تحققت في الحرب.

قال حسن نصر الله أمس الأول، في مقابلة أذاعتها قناة تلفزيونية لبنانية، أنه لو علم مسبقاً بقوة الرد الإسرائيلي لما كان أمر بخطف الجنود. كما قال أنه لا يتوقع جولة ثانية، وإن تنظيمه لن يرد على ما سمّاه استفزازات إسرائيل. حتى نشوب الحرب وخلالها، أنتجت وسائل الإعلام الإسرائيلية لنصر الله صورة القائد الموثوق به، الذي يجب تناول كلامه، وخصوصاً تهديداته، بصورة جدية. وإذا كان الأمر كذلك يجب تصديقه الآن أيضاً عندما يقول أنه فوجئ برد إسرائيل.

إن كلام نصر الله هذا يتناقض والرواية الإسرائيلية. فإذا لم يعد حزب الله يزعم الانتصار، فإن إسرائيل لم تُهزم حقيقة، وموقفها ناجم عن قنوط، عن وضع معنوي قومي بائس، وهو لا يعكس الواقع بحقيقته.

لقد كشفت الحرب حقاً أوجه خلل خطيرة، ولا سيما على المستوى التكتيكي: نشر لا مبال لجزء من القوات البرية في قسم من القطاعات؛ عدم اتصال بين القيادة العليا والوحدات على الأرض؛ انقطاع متواصل في المعلومات الاستخباراتية لقيادة الشمال، التي فشلت في ملاحظة كيف أن حزب الله أقام خط تحصينات كبيراً بالقرب من الحدود؛ التقصير الذي لعله الأكبر، وهو إهمال جميع الحكومات للجهة الداخلية على مدار السنين. كل هذه الأمور يجب تفحصها، لكن ليس بالضرورة عن طريق لجنة تحقيق رسمية؛ فتحقيقات يجريها محترفون غير منحازين يمكنها هي أيضاً التوصل إلى الاستخلاصات الضرورية.

غير أنه إلى جانب ذلك، كان للحرب إنجازات أيضاً. فقد أظهر سلاح الجو قدرة تثير الإعجاب. والاستخبارات، وخصوصاً الموساد، كما في عهد أفرايم هاليفي، قدمت معلومات عن أماكن تخزين الصواريخ البعيدة المدى ومنصاتها مكنت سلاح الجو من تدميرها. إن التدمير الكامل لقيادة حزب الله جنوبي بيروت أربك قدرة التنظيم على القيادة والسيطرة ومسّ كبرياء نصر الله. وإغارات الكوماندوس التي نفذتها وحدات النخبة في الجيش الإسرائيلي على مؤخر العدو زرعت الخوف في صفوف حزب الله. وفي حالات غير قليلة، هرب مقاتلو حزب الله، تاركين تجهيزاتهم وراءهم، خشية الدخول في معارك وجهاً لوجه مع الجنود الإسرائيليين.

إن الأكثر إثارة للإعجاب هو الثمار الاستراتيجية للحرب. وهي لو كانت عرضت على إسرائيل كتفصيلات لتسوية قبل الحرب، لكانت أي حكومة إسرائيلية قبلتها راضية: الجيش اللبناني ينتشر على خط الحدود؛ قوة دولية كبيرة من 10.000 جندي تعزّزه؛ لا وجود بعد الآن لحزب الله على الحدود، ولا يحمل رجاله سلاحاً ظاهراً؛ خط تحصينات حزب الله على الحدود تم تدميره، ونحو نصف عدد الصواريخ، وخصوصاً طويلة المدى، دُمّر؛ تقلص الدعم الذي يحظى الحزب به، ويُنظر إليه على أنه جاء بالخراب والدمار إلى لبنان. لا عجب من أن نصر الله اضطر الآن إلى تبرير نفسه.

كما ثبت أن لا أساس للزعم أن إيران بادرت إلى إثارة الأزمة بهدف حرف الرأي العام العالمي عن برنامجها النووي. إن دعم إيران لحزب الله لا يؤدي إلا إلى زيادة عدا الغُرب لها. ومن الصعب الاعتقاد أن إيران منحت حزب الله مساعدات بهذه الضخامة، تساوي عدة مليارات من الدولارات، لتبذرها على اختطاف جنود إسرائيليين. والأكثر معقولة هو الافتراض أن حزب الله قد أعد كاحتياطي، بقصد الشروع في التحرك إذا هوجمت إيران نفسها.

في أعقاب الحرب، تضاعفت قوة هذا الاحتياطي. وحقيقة أن نصر الله يعترف بأنه فوجئ برد إسرائيل هي دليل قاطع على أن قدرة إسرائيل على الردع لم تتأكل. ولعلها، على العكس، تعززت. ويظهر استقصاء للرأي العام نشر هذا الأسبوع في بيروت أن ثلثي الجمهور غير الشيعي في لبنان يعتقدان أن حزب الله هُزم في الحرب.

لكن حتى إذا لم يكن ثمة نصر حاسم، فإن الحرب أوجدت فرصة لإحياء العملية الدبلوماسية. والانتصارات العسكرية التي أحرزتها إسرائيل على العرب في الماضي لم تترجم دائماً إلى إنجازات دبلوماسية، بل هي أدت إلى جمود. من جهة أخرى، فإن حرباً كحرب يوم الغفران، التي تواصلت وانتهت من دون حسم عسكري واضح، قد حركت مسارات دبلوماسية، نضجت إلى تسويات مع مصر وسورية. حرب لبنان الثانية يمكن أن تؤدي إلى تسوية مع لبنان وتجديد المفاوضات مع سورية. وقد أعرب الرئيس بشار الأسد في عدة مناسبات عن استعداده لذلك. ويمكن للمرء أن يأمل بأن تعرف الحكومة كيف تستغل الفرصة الجديدة. ■

(*) المصدر: مترجم عن العبرية من موقع "هآرتس" (2006/8/29) في الإنترنت:
www.haaretz.co.il

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي

التالي: majallat@palestine-studies.org

يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:

http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx